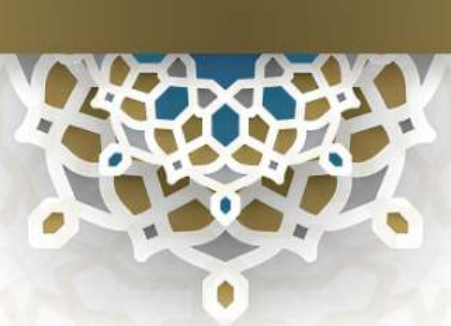

المتون الميسرة

تفريغ شرح كتاب

القواعد الأربع

شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (١)

شرح

القواعد الأربع

للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ

شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

إعداد

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

الحمد للَّه وحده وصلى اللَّه وسلم على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه أمَّا بعد:

فقد قرأت هذا الشرح لشيخنا ووالدنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وأكرم مثواه على القواعد الأربع في التوحيد، والتي ألفها الشيخ المجدِّد العالم العلَّامة محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر لنا وله، وقد وضح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الشرح ما تضمنته هذه القواعد من بيان التوحيد الَّذي فرضه اللَّه على العبيد، وما ينافيه من الشِّرك، وبين حال المشركين الأوَّلين، وإقرارهم بتوحيد الربوبية، وأنه لم يعصم دماءهم وأموالهم؛ بل صار حُجَّةً عليهم، ولعل اللَّه تعالى أن ينفع بهذا الشرح المفيد، كما نفع بأصله، وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه.

عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه الجبرين رَحِمَهُ اللَّهُ

١٤٢٦/١٠/٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه

أما بعد فقد قرأت هذا الشرح لشيخنا وعالمنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله وأكرم مثواه على أربع القواعد في التوحيد والتي ألفها الشيخ المجدد العالم العلامة محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله وغفر لنا وله وقد وفق الشيخ رحمه الله في هذا الشرح بما تضمنته هذه القواعد من بيان التوحيد الذي فرضه الله على العبيد ما ينافيه من الشرك وبين حال المشركين الأولين وأنهم لم يقع منهم توحيد الربوبية وأنه لم يعصم دماءهم ولا أموالهم بل صار حجة عليهم ولعل الله تعالى أن ينتفع بهذا الشرح المفيد كما ينفع بأصله والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ١٤٢٦/١٠/٢٤هـ

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

مُقَدِّمَة

الحمد للَّه وحده والصَّلاة والسَّلام على من لا نبي بعده وبعد:

فإنَّ من رحمة اللَّه تعالى بهذه الأمة أن قيَّض لها في كل عصر من العصور علماء ناصحين، ودعاة مصلحين ينفون عن دين اللَّه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ومن هؤلاء الدُّعاة المصلحين الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه اللَّه تعالى ـ الَّذي جَدَّدَ اللَّه به أمر الدين بعد ما كادت أن تندرس معالمه، ولقد وفق اللَّه ذلك الإمام إلى تدوين عدد من المؤلفات النافعة المختصرة في ألفاظها ومبناها، العظيمة في معناها، ومن تلك المؤلفات «القواعد الأربع» التي اعتنى بها أئمة الدعوة من بعده، وحرصوا على شرحها، وبيان معانيها لطلابهم وتلامذتهم.

وممن اعتنى بكتب الإمام محمد بن عبد الوهاب عامةً، سماحة شيخنا العلَّامة الشيخ عبد العزيز ابن باز ـ رحمه اللَّه تعالى ـ حيث درَّسها مرارًا، وشرح معانيها، وجَلَّى مراميها بتعليقات محكمة ثرية بالنُّصوص الشرعية والمعاني الجليلة.

ويطيب **«لمؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية»** أن تضع بين يدي القارئ الكريم **شرح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ **على «القواعد الأربع»** ضمن سلسلة إصدارتها لشروح وتعليقات سماحة الشيخ ابن باز على كتب أهل العلم وفق الضوابط العلمية المقرة في لائحة المؤسسة كالالتزام برسم المصحف العثماني في إيراد الآيات، والأحاديث مضبوطة بالشكل والحاشية

مختصره مع ترجمة موجزة لسماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد تولَّى مراجعة هذه المادة كل من:

* فضيلة الشيخ العلَّامة عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ.
* فضيلة الشيخ د. عبد العزيز بن عبد اللَّه آل عبد اللطيف وفقه اللَّه.

نسأل اللَّه تعالى أن يضاعف الأجر والمثوبة للشيخين الكريمين على ما بذلا، وأن يجعل هذه المادة في موازين حسنات شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه اللَّه تعالى وأسكنه فسيح جناته.

وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مؤسسة
عبد العزيز بن باز الخيرية
للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:
الإيميل: info@binbazfoundation.sa
هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤

ترجمة موجزة للشارح رَحِمَهُ اللَّهُ

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو سماحة الشَّيخ الإمام المجتهد عبد العزيز بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن محمَّد بن عبد اللَّه بن باز.

وكنيته: أبو عبد اللَّه أكبر أولاده، **لقبه المشهور به**: ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

مولده ونشأته:

ولد في مدينة الرياض في ١٢/ ١٢/ ١٣٣٠هـ. ونشأ بها في حجر والدته، فقد توفي والده سنة (١٣٣٣هـ) وعمره دون الثَّالثة، فأحسنت أمه تربيته وتنشأته -رحمها اللَّه-، وقد توفيت سنة (١٣٥٦هـ).

حياته العلمية والعملية:

حياته العلمية:

تلقى تعليمه على يد كوكبة من علماء الدَّعوة السَّلفيَّة من أبرزهم: الشَّيخ/ محمَّد بن إبراهيم بن عبداللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مفتي الدِّيار السُّعوديَّة، فقد أخذ عنه جميع علوم الشريعة.

أمَّا حياته العملية: فقد تولى عدة أعمال منها:

- (من: ١٣٥٧هـ إلى: ١٣٧١هـ) قاضياً في منطقة الخرج بالدلم.

- (من: ١٣٧١هـ إلى: ١٣٨١هـ) مدرساً في المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة بالرياض.

- (من: ١٣٨١هـ إلى: ١٣٩٥هـ) نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم رئيساً لها.

- (من: ١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ إلى: ١٤/ ٠١/ ١٤١٤هـ) رئيساً لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء، والدَّعوة والإرشاد -برتبة وزير-.

- (من: ٢٠/ ٠١/ ١٤١٤هـ حتى وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ) مفتياً عاماً للمملكة، ورئيساً لهيئة كبار العلماء، ورئيساً لإدارة البحوث العلميَّة والإفتاء.

مؤلفاته:

له العديد من المؤلفات أكثرها قد جمع ضمن كتابه المشهور «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» والبالغ ثلاثون مجلدًا، وحوِّل برنامجه الإذاعي «نور على الدَّرب» إلى كتاب «فتاوى نور على الدَّرب» وقد صدر في (٣٥) مجلدًا، وله غيرها من التَّصانيف والشروح والتعليقات والفتاوى.

كما أصدرت مؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيريَّة بعض تعليقات وشروح سماحته على بعض كتب أهل العلم منها كُتب الإمام المجدد الشيخ/ محمَّد بن عبد الوهّاب رَحِمَهُ اللَّهُ ككتاب «كشف الشُّبهات، والأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، وفضل الإسلام، وكتاب التوحيد» و«كتاب الفتوى الحمويَّة، والعقيدة الواسطية» كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب «وظائف رمضان» للشَّيخ عبد الرحمن بن محمَّد بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب «التَّبصير في معالم الدِّين» لابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرها.

وفاته:

توفي بالطَّائف قبيل فجر يوم الخميس ٢٧ من شهر محرم الحرام سنة ١٤٢٠هـ ، وَصُلِّي عليه بعد صلاة الجمعة بالمسجد الحرام، ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

---

(١) ينظر ترجمته في: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحته (١/ ٩ ـ ١٢) من جمع وترتيب د. محمَّد بن سعد الشويعر، و«الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» للشيخ عبد الرحمٰن بن يوسف الرحمة (ص٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ٤٥، ٣٧٧) وكتاب «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز» رواية الشَّيخ محمَّد الموسى، إعداد: د. محمَّد بن إبراهيم الحمد (٣٣) و«الإبريزية في التسعين البازية»، د. حمد بن إبراهيم الشتوي (١٨، ٢٠، ٢١، ٣٠، ١٨٩) و«ترجمة سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز»، من إعداد واعتناء: الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم ابن قاسم (١٣، ٢٣، ٢٦، ١٣٨) وغيرها.

مقدمة الشارح للقواعد الأربع

بسم اللَّه والحمد للَّه وصلَّى اللَّه وسلَّم على رسول اللَّه، وعلى آله وصحبه، أمَّا بعد:

فهذه «القواعد الأربع» نبَّه عليها المؤلف رحمة اللَّه عليه، وهي قواعد مهمة، فمن عقلها وفهمها جيدًا، فَهِمَ دين المشركين، ودين المسلمين، وأغلبُ الخلق لا يفهمُ هذه القواعد؛ ولهذا إلتبست عليهم الأمور، فعبدوا القبور وأصحابها، والأولياء، والأشجار والأحجار من دون اللَّه،وهم يحسبون أَنَّهم على شيء لجهلهم بحقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك.

ومؤلِّف هذه القواعد: هو الشيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهاب ـ رحمة اللَّه عليه ـ المجدِّد لما انْدَرَسَ من معالم الإسلام في هذه الجزيرة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، المتوفى سنة ستٍّ ومائتين وألف من الهجرة النبوية[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) لسماحة الشيخ محاضرة عن دعوته وسيرته، ألقاها عام ١٣٨٥هـ حينما كان نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية، وطبعة في رسالة مستقلة، وتوجد ضمن مجموع الفتاوى، وله مقالات عن دعوته الإصلاحية، وردود على المناوئين له، ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٣٥٤ حتى ٣٨٤) و«فتاوى نور على الدرب» جمع الطيار والموسى (١/١٩-٢٥ س٦ وس٧) و«نور على الدرب» جمع الشويعر (٨/٣٨-١٥٤).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَسْأَلُ اللَّهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ».

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يجمع ـ في مقدمته هذه ـ بين الإفادة، وبين الدُّعاء للطالب، وهذا من النُّصح، أن يدعو للطالب بالتوفيق ويفيده، ولا شك أنَّ الطالب إذا قَبِلَ اللَّهُ هذا الدُّعاء في حقِّه سَعِدَ.

قوله: «وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ»، فإنَّ هؤلاء الخصال الثلاث عنوان السَّعَادَةِ، إذا حرص المؤمن على هذه الخصال، فقد تمت سعادته، فهو يشكرُ اللَّه على ما أعطاه بفعل أوامره، وترك نواهيه، وإذا أذنب استغفر، وتاب إلى اللَّه، هذا هو شأن المؤمن؛ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ ولهذا يقول ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[(١)].

وهذا هو الواجب على المؤمن أنْ يشكر اللَّه عند الرخاء، وعند

(١) أخرجه من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسلم برقم (٢٩٩٩).

النِّعم، من الصحة والعافية، ونعمة الإسلام، ونعمة الأولاد، ونعمة المال إلى غير ذلك، فهو يشكر اللَّه عليها بطاعة أمره، وترك نهيه، هذا هو الشكر، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبإ: ١٣] يعني: يطيع أوامره، وينتهي عن نواهيه، ويصرف النِّعم في طاعة المولى ﷻ، وعند البلاوي من المرض أو موت الولد، أو القريب ونحو ذلك، يصبر ويحتسب، ولا يجزع بل يتحمل، فلا يضرب خدًّا ولا يشق جيبًا، ولا يدعو بدعوى الجاهلية، ولا يتكلم بفحش؛ بل يتحمل ويصبر، وعند الذنوب يبادر بالتوبة والاستغفار.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: ٥٦].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ، عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨، ١١٦] **وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ».**

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإذا عرف المؤمن أَنَّ التوحيد إذا دخله الشِّرك أفسده، كما أنَّ الحدث إذا دخل الطَّهارة أفسدها، عرف أنَّ أَهمَّ شيءٍ عليه معرفته هو التوحيد

على حقيقته، ويعرف الشِّرك على حقيقته، حتَّى لا يقع في الشِّرك، فيبطل توحيده، ودينه وإسلامه.

لأنَّ التوحيد: هو دين اللَّه، وهو الإسلام، وهو الهُدى، فإذا فعل شيئًا من أنواع الشِّرك بطل هذا الإسلام، وبطل هذا الدين؛ كأن يدعو الأموات ويستغيث بهم، أو يسب الدِّين، أو يسب اللَّه أو يسب الرسول ﷺ، أو يستهزئ باللَّه ورسوله ﷺ، أو يستهزئ بالدِّين، أو يَدَعُ ما أوجب اللَّه عليه، ويعتقد حلَّ ما حرَّم اللَّه ممَّا هو معلوم من الدِّين بالضرورة، كالزِّنا وأشباهه، فإذا أتى بشيء من هذه النواقض بطل إسلامه، كما أنَّ من أتى بناقض من نواقض الطَّهارة من ريح أو بول أو غائط بطلت طهارته، وهكذا توحيده وإسلامه، إذا وجد منه ناقض بطل هذا التوحيد، وهذا الإسلام، كالمسلم الَّذي يَسُبُّ اللَّه والدِّين ويستهزئ به كفر حتَّى يتوب، وكذا من سبَّ اللَّه كفر، ومن جحد وجوب الصلاة كفر، ومن جحد تحريم الزِّنا كفر، ومن استغاث بالموتى ونذر لهم كفر، وهكذا فنواقض الإسلام تبطله، كما أنَّ نواقض الطهارة تبطلها.

وممَّا يبيِّن ويشرح لك حقيقة الدِّين أنْ تتعلم هذه القواعد التي جاءت في كتاب اللَّه، فإذا درستها وتأملتها اتضح لك الأمر أكثر.

❊ ❊ ❊

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

القَاعِدَةُ الأُولَى

«أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

القاعدةُ الأولى: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ الرَّسُولُ ﷺ، والصَّحابَةُ رضي الله عنهم مُقِرُّون بتوحيد الربوبية، مُقِرُّون بأنَّ اللَّه خالقهم ورازقهم، ومدبر أمورهم، وليس عندهم في هذا شك، وَجُهَّال المسلمين اليوم يحسبون أنَّ الإقرار بهذا التوحيد يكفي - للدخول في الإسلام -.

إذا أقرَّ أنَّ اللَّه الخالق الرَّازق، وأنَّه ربَّه كفى هذا من الجهل؛ إذْ صار المشركون أعلم منهم، فإذا أقرَّ أحدهم بالربوبية، وقال: إنَّ اللَّهَ رَبِّي وَخَالقي، ورازقي، اعتقد أنَّ ذلك يكفي، لا، ما يكفي ذلك، فالمشركون أقرُّوا بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزّخرُف: ٨٧] ويقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العَنكبوت: ٦١] ـ فالمشركون ـ مُقِرُون بذلك. قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يعني: يا

محمد: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١].

فما دمتم تعرفون هذا أفلا تتقون الإشراك باللَّهِ، وترجعون إلى التوحيد والحقِّ؟!، فهم يعرفون هذه الأمور، ويقرُّون بها لِلَّهِ، ومع هذا ما أسلموا فلم ينفعهم ذلك، وقاتلهم النَّبِيّ ﷺ؛ لأنَّهم ما خصوا اللَّهَ بالعبادة؛ بل أشركوا مع اللَّهِ اللَّات والعُزَّى ومناة، وأصنامهم الكثيرة.

فالتوحيد: هو صرف العبادة لِلَّهِ وحده، والإيمان بأنَّه وحده المستحق لها دون ما سواه، وممَّا يبيِّن لك هذا أنَّ المشركين، يقولون: ما دعوناهم وما توجَّهنا إليهم، إلَّا لطلب القربة والشفاعة، كما في القاعدة الثانية.

❊ ❊ ❊

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

القَاعِدَةُ الثَّانِيَةِ

«أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِم إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَر: ٣].

وَدَلِيلَ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨].

وَالشَّفَاعَةُ، شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ، وَالشَّافِعِ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الْإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: ما قصدنا أَنَّ الأصنام يخلقون، أو يرزقون، أو يُدبِّرون الأمور، أو يحيون الموتى، نحن نعرف أنَّ هذا كُلُّهُ لِلَّه ﷻ؛ ولكن قصدناهم ليشفعوا

لنا ليقرِّبونا إلى اللَّهِ زلفى؛ لأنَّهم أحسن منَّا، فهم أصحاب دين، ولهم طاعات، وأعمال صالحات؛ ولهذا نعبدهم وندعوهم، ونستغيث بهم، ليقربونا إلى اللَّهِ، وليشفعوا لنا؛ لأنَّهم خيرٌ منَّا وأوْجَهُ، كما قال جلَّ علا عنهم في سورة تنزيل الزمر: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] يعني: أنَّهم يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾ يعني: الأنبياء والصالحين ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ يعني: ما عبدناهم لأنَّهم يخلقون، أو يرزقون، بل عبدناهم؛ لأنَّهم يقرِّبون إلى اللّه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزُّمَر: ٣] سمَّاهم في هذه الآية بالكذبة، الكَفَرَة.

فهذا يدل على أنَّ عبادتهم إيَّاهم؛ لأجل طلب التقريب أنَّه من الكُفر، وإن لم يقولوا: أنَّهم يخلقون ويرزقون، إذا دعوهم واستغاثوا بهم، ونذروا لهم، وذبحوا لهم بقصد القربة، وأنَّهم يشفعون لهم، هذا هو الكفر الَّذي فعله المشركون الأوَّلون؛ ولهذا سمَّاهم كَذَبَةً كفرةً؛ يعني: كذبوا بأنَّهم يقربوهم إلى اللَّهِ، وكفروا بهذا العمل.

يقول سبحانه: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨] فأقرُّوا بأنَّ آلهتهم لا تنفع ولا تضر، ومع ذلك يقولون: أنَّهم يشفعون لهم، فهم مُقِرُّون بهذا، واللَّهُ جلَّ وعلا يقول: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] ويقول اللُّه تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غَافِر: ١٨].

وهذا الشِّرك أبطل حصول الشَّفاعة لهم، ولم ينفعهم؛ بل ضرَّهم، وإنَّما الَّذي ينفعهم هو أن يتوبوا إلى اللَّهِ، ويستقيموا على التَّوحيد، وأن يعبدوا اللَّهَ وحده، وَيَدَعُوا الإشراك به، هذا هو الَّذي ينفعهم أن يوحِّدوا اللَّه، كما هو معنى: «**لَا إِلَه إِلَّا اللَّه**» يعني: يَخُصُّون اللَّه بالعبادة والدُّعاء

والخوف والرَّجاء والذَّبح والنَّذر، كُلُّها لِلَّه وحده، ولا يشركون مع اللَّه أحدًا لا نبيًّا مرسلًا، ولا ملكًا مُقرَّبًا، ولا جِنِّيًّا ولا غير ذلك، هذا هو دين اللَّهِ.

والمشركون الَّذين قاتلهم النَّبِيّ ﷺ فعلوا ما يدل على ذلك، أي: صرفوا العبادة لغير اللَّهِ والتوحيد، والدِّين، والإسلام: هو صرف العبادة للَّه وحده، وعدم صرفها لغيره، ولو زعم أنَّ ذلك الغير لا يخلق، ولا يرزق، ما دام صرف له العبادة، فقد كفر، وإنْ اعتقد أنَّ ذلك المعبود لا يخلق، ولا يرزق، فإنَّ المشركين قد اعتقدوا هذا، فهم يعلمون أنَّ معبوداتهم لا تخلق، ولا ترزق، وأنَّها فقيرة، وأنَّها مملوكة، فلم يعذرهم اللَّهُ بذلك؛ بل كَفَّرهم بطلبهم الشَّفاعة من غير اللَّه، وصرفهم العبادة؛ لأجل طلب الشَّفاعة.

فالحاصل: أنَّ دعاءهم لغير اللَّهِ واستغاثتهم بغير اللَّهِ، وصرف بعض العبادات لغير اللَّهِ، يجعل العبد مشركًا،وإنْ أقرَّ بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق المُدبر، وإنْ أقرَّ بأَنَّ معبوداتهم لا تنفع، ولا تضر؛ ولكنه يريد شفاعتهم، أو يريد أنْ يُقرِّبوه، فهذا لا يُخَلِّصُه من الشرك.

فالَّذي يَعبد البدوي، أو الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو الرَّسولَ ﷺ، أو يَعبد صنمًا أو جنِّيًّا، ويقول: أنا اعتقد أنَّه يقرِّبني، ولا اعتقد أنَّه يخلق، أو يرزق، فإنَّه يُبَيَّنُ له أَنَّ هذا هو الشِّرك الأكبر، وأنَّ هذا هو دين المشركين الَّذي كانوا عليه، يقول اللَّهُ تعالى عنهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣].

فالواجب عليه أنْ يحذر دين المشركين بالتوبة النصوح والإقلاع عن الشِّرك، وتعليم من لم يفقه ذلك من إخوانه وعشيرته، وأهل بيته، ويكون عنده نشاط في تبليغ الدَّعوة، والحرص على تفهيمهم، وأنَّ قولهم: أنَّ الآلهة الَّتي عبدوها تقربهم إلى اللَّهِ زلفى، وأنَّهم لا يقصدون أنَّها تنفع أو

تضر؛ وإنَّما قصدوا شفاعتها وتقريبها، هذا هو الشِّرك الأكبر؛ كونهم قصدوا تقريبها لهم إلى اللَّهِ وشفاعتها لهم عنده، فصرفوا لها العبادة، فهذا هو الشِّرك الأكبر.

والشَّفاعة شفاعتان:

شفاعة مثبتة مرضيَّة، وهي: الَّتي يأذن اللَّه بها ويرضاها كشفاعة النَّبيِّ ﷺ؛ لأهل الموقف حتَّى يقضي بينهم بإذنه سبحانه، وشفاعته في أهل التوحيد حتَّى يدخلوا الجنَّة بإذنه ورضاه ﷻ[(١)].

وشفاعة منفية باطلة وهي: الشَّفاعة الَّتي يطلبها المشركون من غير اللّه يطلبونها من أتباعهم من الأنبياء، أو الصَّالحين، أو الملائكة، أو الجنِّ، أو الأشجار، والأحجار، وهذه شفاعة باطلة، قال اللَّه تعالى فيها: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] ويقول تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غَافر: ١٨] فهي شفاعة باطلة؛ لأنَّهم طلبوها من غير اللَّه، وتوسلوا إليها بالشِّرك، فصارت باطلة[(٢)].

❊ ❊ ❊

(١) يشير إلى حديث الشَّفاعة الطويل المشهور المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه أخرجه البخاري، برقم (٧٥١٠) ومسلم، برقم (١٩٣).

(٢) ينظر: للمزيد حول الشَّفاعة وأدلتها شرح سماحته لكتاب «التوحيد» (ص ١٦٧ وحتى ١٧٥) و«مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحته (١/ ٣٧٠، ٤/ ٤٠٣، ١٦/ ١٠٧، ٢٤/ ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦/ ١٩١) و«فتاوى نور على الدرب» (١/ ١١٧ س٥٥) جمع/ د. عبد اللَّه بن محمَّد الطيار، والشَّيخ محمَّد بن موسى الموسى، و«فتاوى نور على الدرب» لسماحته جمع د. محمَّد بن سعد الشويعر (٢/ ١٠٣-١٠٦، ٢٠٢، ٢٠٣).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ فِي أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٧].

وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ﴾ [آل عِمرَان: ٨٠].

وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المَائدة: ١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسرَاء: ٥٧].

وَدَلِيلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ

ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النّجم: ١٩-٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ» الحديث[1].

القَاعِدَةُ الرابعةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُوا زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، وَالدَّلِيلُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

تمت وصلَّى اللَّهُ على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه هي **القاعدة الثالثة**، وهي: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ فِي أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، وذكر بعدها **القاعدة الرابعة**: من القواعد الأربع الَّتي من عَقلها وفهمها جيِّدًا، عَقل دين المشركين، وعَقل دين المرسلين، وعرف الفرق بينهما، وهي قواعد مُهمَّة وواضحة، أوضح فيها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حقيقة الشِّرك، وحقيقة ما عليه المشركون، وأوضح فيها حقيقة ما دعا إليه النَّبِيّ ﷺ وما أرشد إليه، وما بعثه اللّه به.

فمن عَقلَ هذه القواعد الأربع، كما ينبغي عرف دين المشركين على بصيرة، وعرف دين الرُّسُل على بصيرة.

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٨٠) وقال: حديث حسن صحيح.

وقد تقدَّمت **القاعدة الأولى**: في بيان أَنَّ المشركين مُقِرُّون بتوحيد الربوبية، وأنَّهم لا ينكرون أنَّ اللَّهَ هو الخالق، الرَّازق، المُدبِّر، المحي، المميت، الرزَّاق للعباد، يعرفون هذا؛ ولهذا أقرُّوا به لما سئلوا: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزّخرُف: ٨٧] كما تقدَّم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١].

وبيَّن في **القاعدة الثانية**: أنَّهم يقولون: «ما دعوناهم وتوجَّهنا إليهم إلَّا لطلب القربة والشَّفاعة» يعني: أنَّهم ما توجهوا إليهم يعتقدون فيهم أنَّهم يخلقون أو يرزقون لا، يعرفون أنَّ الخلَّاق الرَّزَّاق هو اللَّه؛ ولكن عبدوهم يرجون شفاعتهم، وتقريبهم إلى اللَّه، يقول اللَّه تعالى على لسانهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨].

هذا هو شركهم، يقولون: دعوناهم وتوجَّهنا إليهم ليقربونا إلى اللّه، وليشفعوا لنا عنده، واللّه هو الرَّزاق الخَالق ﷻ.

- وتقدَّم تفصيل الشَّفاعة[(١)].

وأمَّا شرك المشركين المتأخرين، فشركهم دائم: في الرَّخاء والشِّدَّة، ومع الأنبياء وغيرهم، وبعضهم أشرك في الرُّبوبية، واعتقد أنَّ بعض المشايخ، والصَّالحين يتصرَّف في الكون، ويتصرَّف في النَّاس، وهذا من سخافة العقول وضلالها، فصاروا أَسْفَهَ من المشركين الأوَّلين، وأقلُّ عقلًا وأعظم شركًا[(٢)].

ثُمَّ ذكر في **القاعدة الثالثة**: وهي أنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظهرَ في أُناسٍ شركهم متنوع، ومتفرقين في عباداتهم منهم من يَعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد

(١) في (ص ٢٠).
(٢) هذا توضيح وشرح مجمل للقاعدة: الأولى والثانية والرابعة، وتأتي الثالثة فيما يلي.

الملائكة، ومنهم من يعبد الصَّالحين، ومنهم من يعبد الجنَّ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشَّمس والقمر، فقاتلهم ﷺ جميعًا وقاتلهم الصَّحابَةُ رضي الله عنهم، ولم يفرِّقُوا بينهم، وذكر الآيات الدَّالة على ذلك، مثل قوله جلَّ وعلا: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٨٠].

فجعل عبادة الملائكة والأنبياء كُفْرٌ، وذكرَ في قصة عيسى والنَّصارى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المَائدة: ١١٧].

وذكر في الأشجار والأحجار والصَّالحين كذلك: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النّجْم: ١٩-٢٠] واللَّات: رجلٌ صالح، ومناة: حجر، والعُزَّى: شجرة[(١)].

والمقصود: أنَّ المشركين تنوَّعت عباداتهم لغير اللَّه، منهم من يعبد الشَّمس والقمر، ومنهم من يعبد النُّجوم، ومنهم من يعبد الجنَّ إلى غير ذلك، فقاتلهم الرسول ﷺ وقاتلهم الصَّحابَةُ رضي الله عنهم، ولم يفرِّقوا بينهم، فالشِّرك واحد، وإنْ تنوع المعبودون، فالَّذي يعبد الشَّمس، أو القمر، أو الملائكة، أو الأنبياء، أو الصَّالحين، أو النُّجوم، أو غيرهم، كلهم مشركون، سواء كان المعبود صالحًا أو جمادًا أو نبيًّا، أو ملكًا أو غير ذلك، واللَّه جلَّ وعلا يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ٢] ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الحَجّ: ٣٤].

فمن خالف هذه الآيات، وما جاء في معناها، فقد أشرك سواء فعل ذلك مع الأنبياء، أو الصالحين، أو الملائكة، أو الجنِّ، أو النُّجوم، أو

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٥).

الشَّمس، أو القمر، أو غير ذلك؛ ولهذا أنزل اللَّه جلَّ وعلا فيهم: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يعني: شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فالشِّرك: يطلق عليه فتنة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يعني: حتَّى لا يقع شرك باللَّهِ، ويكون الدِّينُ كُلُّهُ له، والاختلاف يُسمَّى فتنة، والمعاصي تُسَمَّى فتنة؛ ولكن هنا الفتنة الشِّرك باللَّه، كما قال جلَّ وعلا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ثُمَّ قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ثُمَّ قال: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٧] يعني: الشِّرك.

فالفتنة: هي الشِّرك، وهي أكبر من القتل، كون الإنسان يقتل نفسًا هذه جريمة عظيمة ومنكر عظيم؛ لكن كونه يشرك باللَّهِ أعظم من القتل، نسأل اللَّه العافية.

فدلَّ ذلك على أنَّ الواجب على ولاة الأمور أنْ يقاتلوا عُبَّاد غير اللَّهِ مطلقًا كائنًا من كان هذا المعبود، إذا دُعُوا إلى اللَّه وأرشدوا، ولم يقبلوا وجب قتالهم كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٣] ويقول جلَّ وعلا: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبَة: ٤١] ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصَّف: ١٠-١١]، ويكون القتال مع القدرة: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التَّغَابُن: ١٦].

وممَّا يتعلق بعبادة الأحجار والأشجار حَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِي رضي الله عنه[1]

---

(١) أبو واقد اللَّيثي صحابي اختلف في اسمه واسم أبيه، فقيل: الحارث بن مالك، وقيل: الحارث بن عوف، وقيل اسمه عوف بن الحارث، مشهور بكنيته مات سنة (٦٨هـ) ينظر: «الاستعاب» لابن الأثير، (١/ ٨٨) و«تهذيب الكمال» للمزي (٥/ ٢٧١) و«تقريب التهذيب» للحافظ ابن حجر: (ص٦٨٢ برقم ٨٤٣٣).

لَمَّا خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَكَانُوا حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِالكُفْرِ[(١)] مَرُوا عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ سِدْرَةً وَيُعَظِّمُونَهَا وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا السِّلَاحَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ إِذَا عُلِّقَ عَلَيْهَا يَكُونُ أَمْضَى وَأَقْوَى، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ[(٢)]، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ قُلْتُمْ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨][(٣)].

فجعل طلب إيجاد شجرة تُعبد، مثل قول بني إسرائيل ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ فإذا قال: نريد شجرةً نعبدها، أو حجرًا نعبده، أو قبرًا نعبده، نُعلق عليه السِّلاح، ندعوه نستغيث به ننذر له فهو مثل قول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ وهذه قاعدة عظيمة مع القاعدتين السابقتين.

ثُمَّ أوضح في **القاعدة الرَّابعة**: أنَّ شرك الأوَّلين أخفُّ من شرك المتأخرين، فشركُ هؤلاء أعظمُ وأقبحُ، فالأوَّلون شركُهم كان في الرَّخاءِ ويُخلصونَ في الشِّدَّةِ،أمَّا هؤلاء المشركون في غالب البلدان، شركهم دائمٌ في الرَّخاء والشِّدَّةِ، كَعُبَّاد البدوي، وعُبَّاد الحسين، وعُبَّاد الشَّيخ عبد القادر الجيلاني وغيرهم، شركهم دائمٌ، فالواجب الحذر من شرك المشركين في الشِّدَّة والرخاء دقيقه وجليله.

وممَّا يدل على أنَّ المشركين يشركون في الرخاء دُونَ الشِّدَّة، قوله

(١) يعني قريب عهد بالخروج منه، والدُّخول في الإسلام، وأنه لم يتمكن الدِّين في قلوبهم. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير مادة: [حدث] باب الحاء مع الدال (ص ١٩٢).

(٢) ذات أنواط: هي اسم لشجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، باب النون مع الواو مادة: [نوط] [ص٩٤٦].

(٣) سبق تخريجه في (ص ٢٢).

تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يعني: الباخرة في السفينة: ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العَنكبوت: ٦٥] يعني: أخلصوا لِلَّه الدُّعاء يخافون أنْ يغرقوا في البحر، أو تنقلب السفينة وتغرق، فعند هذه يخلصون لِلَّه العبادة، فإذا نجَّاهم إلى البَرِّ وسَلِمُوا عادوا إلى الشرك نعوذ باللَّهِ.

وفي الآية الأخرى يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ﴾ [الإسرَاء: ٦٧] وهكذا في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمَان: ٣٢].

هكذا حال المشركين عند الشدائد، يخلصون لِلَّه العبادة، ويعلمون أنَّه المنجِي في الشدائد، وأنَّه لا إله غيره، وإذا جاء الرَّخاء وقعوا في الشِّرك مع آلهتهم وأصنامهم.

أمَّا هؤلاء المشركون في أوقاتنا هذه، فشركهم دائم، لا بصيرة عندهم، يعبدون غير اللَّهِ في الرَّخاء والشِّدَّة، ولا تمييز عندهم لضعف العقول وغلبة الجهل، نسأل اللَّه العافية والسَّلامة، وفق اللَّه الجميع.

وصلّى اللَّه على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
تقريظ الشيخ العلامة عبد اللَّه بن جبرين:	٥
مقدمة مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية:	٧
ترجمة موجزة للشارح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز:	٩
مقدمة الشارح الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:	١١
مقدمة المؤلف محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:	١٢
القاعدة الأولى:	١٥
القاعدة الثانية:	١٧
القاعدة الثالثة:	٢١
القاعدة الرابعة:	٢٢
فهرس الموضوعات:	٢٩